

تاي نيرشعلا سوباك



Radosław Budkiewicz

e-bookowo.pl
wydawnictwo internetowe

كابوس العشرينيات

Radoslaw Budkiewicz

لأبي

© Copyright by Radosław Budkiewicz & e-bookowo

ISBN 978-83-8166-242-0

Publisher: Internet Publishing House e-bookowo

www.e-bookowo.pl

Contact: wydawnictwo@e-bookowo.pl

All rights reserved.

Reproduction, distribution in part or in whole
without the publisher's permission prohibited

Edition I 2021

الفصل 1

كانت الشمس تختبئ غربا. تلمع السماء منذ فترة طويلة بظلال من اللون الوردي والتي سرعان ما تحولت في النهاية إلى لون أرجواني قوي وبارد. اخذ ضوء النهار يتلاشى قبل الليل بسبب السحب السمكية التي غطت السماء. هذا يعني بالنسبة لمعظم الناس والحيوانات الاستعداد للنوم والراحة.

اما بالنسبة للبعض. فقد بدأ للتو وقت الصيد.

غطت الغيوم القوية والكثيفة جزءا كبيرا من السماء، وفي مكان ما في الأفق كان يسمع صوت عاصفة خطيرة كانت تقترب. صوت مقطورة فوررد القديمة تمر بجانب الطريق. غمر الضوء الأصفر الضعيف للمصابيح الأمامية المناظر الطبيعية القريبة. بدأت بوسطن تخلو من سكانها. فرغت الشوارع والأزقة التي أصبحت ملجأ للرجال والنساء الضائعين الذين سارعوا إلى العودة إلى ديارهم أو العثور على عمل غير قانوني. خلا الشارع من السيارات اللهم من مقطورة قديمة من أيام الحرب العظمى وسيارة موديل T كلاسيكية ذهبت في الاتجاه المعاكس بسرعة متباطئة وسط برك الماء.

خلف عجلة القيادة في المقطورة جلس رجل مداعبا العجلات ومستشقا دخان سيجارة يبدو انه صنعها بنفسه. في هذا الوقت من النهار كان من الصعب أن نقول ما بدا عليه وجهه. كان وجهه محمرا بالتأكيد، تغطيه لحية رمادية متفرقة، وتنزلق خوذة قديمة على جبهته. سحب سترته السمكية إلى الذقن مستشعرا برد الربيع.

بجانبه، في منتصف الأريكة، جلس رجل بنظارات أصغر منه سنا وأقل حجما، له شارب رقيق كشابلن وقد مشط شعره للخلف. كان يقضم بعصبية قبعته حتى لا يستسلم للتوتر. رغم الضوء الخافت جدا، كان واضحا انه لا يشعر بالثقة يشعر بالثقة. خلافا للرجل الثالث. كان ينام بجانب النافذة الجانبية واضعا خوذته على وجهه. كان قويا ممتلئ الجسم، يرتدي بذلة العمل، يحمل في كلتا يديه قطع خبز متسخة تغطيها الدهون. لحية تغطي خديه. تسلت بضع خصلات من شعره القصير الغامق من تحت قبعته. اختلطت رائحة العرق والسمك والدهون. والأهم من كل هذا أنه يشخر.

سقطت أول قطرات من أمطار الربيع على الزجاج الأمامي لنصف المقطورة. أسرع عدد قليل من سكان بوسطن خطواتهم متجنبين برك الماء. بالنسبة للأشخاص الثلاثة في السيارة، كان المطر علامة سيئة. ضغط السائق على دواسة البنزين. سعل محرك السيارة مرة واحدة، ثم مرتين، وانطلقت مسرعة.

- اللعنة، لن نصل إلى هناك في الوقت المناسب. بسبب العاصفة ستبتل الأرض!

- "سيصبح الحفر سهلا"، تتمم الرجل السمين النائم. انتقل امتدت. نومه خفيف، وأن أصوات العاصفة المقتربة ايقظته. كان الشاب صامتا لا يعرف ما إذا كان يريد المشاركة في هذه المحادثة. انتهى به الأمر إلى أخذ نظارته من أنفه وفرك عينيه ربحا للوقت.

- "أيها الغبي تعتقد ذلك سهلا؟" صاح السائق. "هل سبق لك أن حفرت في التربة الرطبة؟ سيغرق كاحلاك في الطين منذ اليوم الأول!

- لا أصدق أن هذا الأحق الأيرلندي لا يزال يدير الميناء...

- ماذا، رايلي أمر به؟ بالله عليك، أنا أسف.

- على أي حال، لدينا هذا الشاب للقيام بالعمل القذر، وجدته بنفسك، ستيف.

- أنا؟ أنا ماذا؟ - تدخلت صاحب النظارات مسارعا إلى ارتدائها. نظر إلى زملائه الأكبر سنا بخوف طفيف، مدركا أن أسوأ وأصعب الصفقات ستقع عليه.

- "أنت وأنا وأدريان" قال السائق متجاهلا الشاب. الحفر في الوحل سيكون كابوسا، لكننا لا نفعل ذلك مجانا. نحن نتقاسم الثمن بالتساوي، لكل واحد الثلث.

- ستحصل على الكثير من المال، يمكنك أن تعيش مثل الملك. انه ليس مثل ما كانت ما تفعله من قبل، كثير من العمل وبضعة دولارات. يا فتى، خذ الجريدة وانظر من مات. انحنى العامل القذر أدريان تحت المقعد وسحب صحيفة مجمدة وممزقة قليلا. تصفح صاحب التظاهرات جريدة "Boston Courier" باحثا عن نعي.

ظلمة الشفق وأضواء شوارع مدينة بوسطن القليلة لم تساعده على قراءة الحروف الصغيرة. قرب أصغر الرجال ورقة قرب وجهه. أثناء ذلك توقفت العربة على جانب الطريق المغطى بأشجار الصفصاف. عندما توقف المحرك، ازداد الهدير المزعج للعاصفة. وازداد هطول المطر.

- جيسوب كلايتون أوستيغ البالغ من العمر خمسة وستين عاما وسامانثا تيريز إروين البالغة من العمر اثنين وأربعين عاما، تحدث "الشباب" أخيرا وأشاح وجهه عن الصحيفة. وأضاف على عجل: "دفن الاثنان في Evergreen، سيد كولينز".

- وربما آخرون، مجهولون، بلا مأوى، ميؤوس منهم. ثم أضاف ستيف السائق، وهو ينظر إلى نوافذ العربية المتوقفة: "هؤلاء هم الذين نهتم بهم أكثر من غيرهم". راقه الفراغ والصمت فابتسم.

- لكن الأستاذ يدفع أكثر مقابل المصاريف! كان أول من خرج من الشاحنة وذهب على الفور إلى الخلف، حيث أخرج حقيبة خيش كبيرة وألقاها على ظهره. أصدرت الأدوات المعدنية والخشبية ضجيجا.

- إنه يدفع، لكن يجب أن نكون حذرين" واصل السائق وهو يغلق الباب خلفه. لن ينسى المشردون أي شخص، عادت الروح إلى الله، لكن الجسد بقي معنا، تذكر هذه الكلمات يا بوب. عدل خوذته وهو ينظر إلى السماء المظلمة والغيوم المتموجة، ثم بصق وهو يصفر.

برك الماء الصغيرة ينيرها الضوء الخافت.

كان الشاب ذو النظارات آخر من ترك السيارة على مضض، وكأنه خائف. فرك كلتا يديه، كان يريد تسخينها قبل العمل الذي ينتظره. أخذ من الشاحنة مجرفة ومخلا ومعولا. حاول حمل كل شيء في ذراعيه دفعة واحدة، ولكن وبعد بضع خطوات، سقطت الأدوات على الأرض محدثة ضجة عالية.

- اللعنة! صاح بصوت يرتجف. وانحنى لجمع المواد المتناثرة. لمح السائق الوجه الخائف للرجل ذو النظارات. هز رأسه، ثم نظر حوله. كانت المقبرة فارغة وصامتة. انها محاطة بجدار غير مرتفع من الطوب والأحجار الدقيقة، وبعض اللبلاب والأعشاب الضارة. كانت لها بيوابة حديدية ضخمة.

لم تكن في المقبرة لا حلي لملائكة الصليبان او قديسون لان الناس المدفونين ليس لديهم أي إيمان أو اعتقاد، فهم في الغالب الناس بدون عائلة ينتمون لأدنى درجات السلم الاجتماعي. بالطبع، كانت هناك بعض القبور لأناس من الطبقات العليا، لكنها كانت نادرة. وقف أدريان أمام الباب لفترة من الوقت، متسائلا عما إذا كان سيكون قادرا على كسر السلسلة والقفل.

بصق خلف كتفه واخذ يتحرك على طول الجدار نحو تلة صغيرة. السور قصير هنالك لكن لا بد من الحذر من الصخور الخلقية. قليل جدا من المطر يهطل، ولكن هذا يمكن أن يتغير بسرعة. لذلك أسرع للوصول إلى المقبرة في أسرع وقت ممكن.

تسلق المنحدر متمتع فهو ليس بالأمر السهل ولا الصعب. تطلب الوصول الى الجدار ربع ساعة ثم استغرق الأمر ربع ساعة أخرى لعبوره ونقل جميع المعدات.

"لقد كبرت كثيرا على ذلك"، صرح السائق وهو يجثو على ركبتيه، لأنه آخر الثلاثة الذين دخلوا المقبرة. في أقدم جزء من المقبرة توجد معظم المقابر والكنائس الجنائزية الخاصة، والتي يرجع تاريخها إلى القرن التاسع عشر. على الرغم من أن معظمهما في حالة يرثى لها فالجدران متشققة، والدرج منهارة، منحوتات تالفة، نقوش بالية، حافات صدئة، فان من المستحيل ألا تشعر بأنك تتعامل مع التاريخ.

كان ستيف الأكثر على القيام بعلامة الصليب وترديد صلاة قصيرة. كرر الآخرون على مضض دعواته وجمعوا معداتهم، ثم اتجهوا نحو القسم الأحدث حيث دفن الفقراء. بعد عدة أمتار من المشي، شعر اللصوص بالأمان؛ لا أحد يستطيع رؤيتهم من الطريق. كان حارس المقبرة على الأرجح جالسا يشرب، وينظر إلى غيوم العاصفة.

بالنسبة للمجرمين، كان التوقيت مثاليا.

كان الظلام دامسا بفعل الأشجار الكثيفة. إبر هذه الأشجار شكلت على الأرض في طبقة سميكة. قطرات المطر المتعاقبة غطت صوت خطوات الرجال. كان من الواضح أن لا أحد يسمعهم أو يراهم.

الممرات ليس ضيقة، ولكن لا يمكن القول إنها واسعة أيضا. هي تتسع فقط لمرور عربة تجرها الخيول لحمل التوابيت. لكن الطين جعل المشي صعبا.

- حسنا يا فتى الى العمل. قال أدريان بلطف، ورمي حقيبة الأدوات على الأرض الرطبة متجنباً برك الماء. بعد لحظة، أضرب الأرض بالمجرفة.

"ليس هنا، بربك " نبيه ستيف، ثم ازال خوذته ومسح جبهته المتعرقّة. "مات الرجل قبل عيد الميلاد، والديدان تأكله الان. هذه المرة، لن يدفع لنا الأستاذ مقابل الجثة التي أكلناها. نبدأ الحفر هناك، الفتاة أولا، ثم الفلاحون". أشار الى شاهد قبر يحمل التاريخ التقريبي للوفاة، ثم إلى تل من الأرض في الطرف الآخر من الممر.

"كيف تعرفه؟ هذا الاستاذ؟" سال أدريان ثم احرق شيئا ووضع تحت أنفه. بعد لحظة شرع الجميع في العمل بسرعة وكفاءة، كما لو أن حفر التوابيت وسرقة الجثث ربما لم تكن بالنسبة لهم شيئا مخيفا.

- "أتذكر الشتاء الذي قضيناه مع شون؟" أجاب ستيف، وعاد بسرعة للعمل.

- تتذكر ليبي موراى؟

- اجل، ليبي، اذكرها. مازال فخداي مشتعلان.

- ذكر شون مرارا وتكرارا أن التغيير سيحدث، وأن الله نفسه سينزل لأشخاص مثلنا، أن المال سيتدفق علينا مثل تشارلز. ثم رتب اجتماعا لي وهذا كل شيء. نجح هذا الامر بطريقة ما" اجابه وهو يحمل المجرفة ويمسح العرق من جبهته.

- بطريقة ما، " كرر كولينز، دون ان يتوقف عن عمله. بدا معقولا، فهكذا تجري الأمور عند المجرمين عبر الاتصالات والتوصيات. بقي الرجل ذو النظارات صامتا وهو يستمع إلى المحادثة، ثم أصبح وجهه شاحبا أكثر. هذه ليست الطريقة التي تخيل بها القيام بهذا العمل غير القانوني.

بعد نصف ساعة تقريبا، ضربت المجارف ألواح الصنوبر الرخيصة. تفوح من الثلاثة رائحة العرق والتعب مثل المخلوقات السماوية. أخذوا استراحة. كانوا يخطرون، لكنهم قاموا بهذه المهمة بكفاءة وسرعة. رفعوا وجوههم إلى السماء، وتركوا المطر البارد يطهر بشرتهم من العرق والأوساخ. أخذ أدريان حقييته وأخرج زجاجة حليب مليئة بشراب.

- تفضل، أعرف زنجيا يتاجر في الخمر يمكنك الوثوق به. كان يميل الزجاجة ويأخذ رشفة كبيرة. تذوق الرفاق الشراب وهم يصرخون. كان الكحول قويا كالبرق، مر، زيتي، مع طعم معدني غريب، لكنه فعال. ضحك الاثنان الأخران من الفتى الذي اختنق. - " جيد، دعونا نخرج الفتاة الميتة سيئة الحظ، طالما مازال ذلك ممكنا" قال السائق ومسح فمه عندما كان أول من قفز إلى أسفل، مع المخل في يد والمطرقة في الآخر. أخرج مسبحة من جيبيه ورسم الصليب ثم مرر اصابعه على حبات الخرز. ثم أعاده لحيبيه وأزال بمهارة القضيب المعدني.

ضربتان بالمطرقة على الجانب الأيمن. كان الخشب يتكسر. ثم بدأ يسحب المسامير بقوة، انهار الغطاء وسقط على الأرض وانزلق الطين من جدران الحفرة لان المطر أصبح أقوى. تبين أن هذا الاستراحة القصيرة كانت لها عواقب وخيمة. كافح الفتى مع الخشب على الجانب الآخر، وأحيانا كان ينظر إلى صديقه المتمرس. آخر الثلاثة، كان في ناحية أخرى يراقب وهو يحمل مصباح يد للإضاءة. لقد اعتاد على الظلام واستطاع ان يميز رفاقه بسهولة. لكنه لم ينتبه إلى طقطقة الخشب والانهيال الأرضي الذي توقف بسرعة. صوت المطر المتساقط والرعد؛ يجعلان المرء يعتقد أن كل هذا قد خرج من الخيال المريض لمخرج فيلم. رغم أنه لم يكن بعيدا عن الحقيقة.

- "باسم القديسة مريم ويوسف... " همس ستيف مثيرا اهتمام أدريان. بدا الشاب يلهث مشدوها ينظر الى التابوت المفتوح. لم يصدق عيناه. في الداخل، جسم؛ شاب لم ينهكه الزمن بعد، أزرق قليلا والخدان غائران. شعر الحارس بالقلق من سلوك رفاقه. لملا يبدو الصندوق المصنوع من ألواح الصنوبر الملثوية مثيرا للقلق للوهلة الأولى. كانت المشكلة هي أن المرأة حامل.

- ما هذا؟ - تدمر أدريان وهو ينظر للسائق ثم نزل للقبر. لم يهتم بالطين والحجارة؛ بل دفع بعنف الشاب المصدوم إلى الخلف ومزق بعض الألواح المتبقية. رأى أن القبر يحتوي على تابوت مع جثة امرأة حامل شابة في الداخل. شرع يسب ويشتم. كعامل يعمل بجد في الميناء من النهار إلى الليل، كانت لديه شخصية قوية وأعصاب من الصلب، ولكنه كان منزعا من رؤية امرأة حامل ملقاة في قبرها. لم تكن هذه هي المرة الأولى وربما ليست المرة الأخيرة التي خرج فيها لبيع الجثث، لكنها كانت المرة الأولى التي واجه فيها مثل هذه الحالة. تعود سرقة جثث الأمهات والبنات لكنه لم ير أبدا الوجه الهادئ لامرأة في حالة من الحمل المتقدم. داخل بطنها المتورم يختبئ جسد طفل مستعد للخروج إلى العالم. انتهت حياة الطفل الصغير حتى قبل أن تبدأ. كانت هذه مأساة حقيقية وربما السبب المباشر للاكتئاب المفاجئ لبوب. نظر أدريان بشكل عابر إلى وجه الرجل ذو النظارات. كان شاحبا مثل الورق، بدأ في الزحف خارج الحفرة في حالة من الذعر. سمع صوت الرعد، وعبر البرق السماء، وعم ضوء ابيض كالأشباح. - "يا إلهي!" بكى الشاب، وسقط على ركبتيه وتقيء. ارتدى على ظهره، وبدأ يسعل وجسمه يرتعش. كانت المرة الأولى له؛ كان بحاجة ماسة إلى المال ولم تكن هناك العديد من الخيارات لكسب المال على الإطلاق.

ألقى نظراته وشد جفونه، ترك المطر البارد يهدئه قليلا. حارب حتى لا ينفجر في البكاء. -أين وجدتم هذا الفتى؟ " صاح كولينز غاضبا.

- اعتقدت أنه مناسب "رد السائق، لكنه لا يصلح لهذا. - أنا لم اعد شابا، ولن استمر طويلا يجب أن يأخذ شخص ما مكاني، وانت تعرف أن المنافسة لا ترحم. بصق مرة أخرى وشرع في تحريك الألواح والأرضية حتى يتمكن من الوصول إلى الجسم. أخذ المرأة تحت ذراعيه، بعناية وحنان تقريبا، ثم بدأ في رفعها من التابوت.

أمسك أرجل المتوفاة وخرج من الحفرة. لم يضيعوا الوقت هذه المرة وبدأوا في ملء الحفرة. - يا فتى! حرك مؤخرتك وتعال هنا!

"باسم يسوع، أعطه دقيقة"، قال ستيف وهو يضحك بقوة ويميل ضد المجرفة. - لا أهتم، لن أقوم بكل العمل بنفسى! - أجاب العامل بنبرة عدوانية، ورمي دفعة أخرى من الأرض في قبر محفور حديثا. وقف الرجل ذو النظارات وكان لا يزال خائفا. فقط جلس على ركبتيه وأخذ نظراته. رسم إشارة الصليب ويده ترتجف اليد وهو ينظر إلى اللصوص ذوي الخبرة.

- "أنا.. لا أعتقد أنني أستطيع... لم أكن أعتقد ذلك... يا إلهي الرائحة الكريهة. " رد بصوت ضعيف، واختلطت دموعه بالمطر الذي ينساب على وجهه. رفع رأسه وحملق باعتذار حتى رأى أخيرا وجه المرأة الميتة. كان أكثر من اللازم بالنسبة له، نهض بسرعة، وانزلق على الطين، وأخذ يبتعد.

- يا فتى عد! - صاح السائق متوقعا الأسوأ.

- "اللجنة، اخترت أبا كان!" صاح أدريان، ورمى المجرفة مسرعا لمطاردة الرجل ذو النظارات المذعور. لم تكن سرقة الجثث من القبور أمرا سهلا وممتعا، ولكن ربما لم يكن من المتوقع كل هذا الذعر. سرعان ما اصطدم بالرجل المذعور، وضربه مرة واحدة في وجهه بكف مفتوح وكان على وشك صفعه مرة أخرى عندما رفع الشاب يديه في بادرة من الاستسلام اليائس. تجمدت يد أدريان.

- أرجوك!

- أرجوك ماذا؟!

- أنا.. لا أستطيع حقاً! سيد كولينز، أرجوك!

- بسببك يا ابن العاهرة الغبي، نحن نضيع الوقت ونخاطر بكل شيء!

- معذرة!

- "وأنا لا أهتم باعتذارك! إما أن تأخذ المجرفة وتساعدنا، أو تذهب إلى العربة وتنتظرننا، وإذا هربت في مكان ما، تذكر أنني سأجذك وأنا اعرف أين توجد التوابيت الفارغة"، صرخ وسمح للشاب صاحب النظارات بالذهاب أخيراً. سقط الشاب في الوحل، حيث يقف مشلولاً بسبب الخوف.

أخيراً، أوما رأسه وسار ببطء إلى القبر المحفور. عاد أدريان وهو يشعر بالملل والتعب، وأنهوا العمل وهم في مزاج سيء. بعد بضع دقائق، كان في كل شيء في مكانه. لولا آثار الأقدام التي داست في كل مكان والتي لا تعد ولا تحصى في، ربما لم يشك أحد في أن قبراً قد حفر.

ابتعد اللصوص عن المكان التعيس، وتنهذوا بقوة، وعادوا إلى العمل.

- هل يجب أن يكونا رجلاً وامرأة؟ ألا يمكن أن تكون أي جثث نجدها؟ لقد قضى علينا بالفعل صاح أدريان وهو يرمي المجرفة.

- "إنه يدفع لنا مقابل رجل وامرأة متوفين حديثاً"، قال السائق بحزن، ورمى مجرفة أخرى على الأرض. نظر خلسة إلى الرجل العصبي الذي يرتدي نظارة طبية. لم يكن تهديد عامل الميناء العظيم بلا أساس، لأن نهب القبور لم يكن العمل الوحيد لأدريان. ستيف يعرف هذا، ولكن الصبي الصغير يمكنه تخمين فقط.

في النهاية، ضربت المجرفة ألواح تابوت آخر.

واحدة. اثنان. ثلاثة.

تهافت ألواح الخشب تحت ضغط ضربات معدنية. ليس هناك وقت للعب مع المخل، القوة الغاشمة بسيطة في العمل. كان العمال يعرفون ذلك إذ يمكن للمجرفة أن تلمس الجسم وتتلفه، ولا أحد يريد ذلك. لا يدفع الأستاذ ثمن البضائع التالفة، ولكن مقابل السلع الجيدة. جيد، كاملة، مناسب للبحث الذي يقوم أو أيا ما كان يفعله.

ألقى العامل ظهره على الجدار الموحل للحفرة. ساعدت الأرض الرطبة والطين الشاب على الارتخاء. انه لاهت بشدة وقلبه يضطرب في صدره مثل واحدة من آلات المصنع. بدأ الرجل صاحب النظارات على الفور بالحفر خارج الحفرة، دون أن يكلف نفسه عناء النظر إلى الجسم.

صاح أدريان، وهو يحدق في التابوت والألواح المكسورة: "أحتاج إلى مشروب".

- "أنت تتحدث بحكمة" أكد السائق، ومسح جبهته المتعرق.

- "فتى، اجعل نفسك مفيداً واعطيني الزجاجة"، صرخ بوجه صاحب النظارات. كان المطر يسقط متقطعاً لكنه كان قويا وغير مريح. وصلوا إلى التابوت وسحوا لأنفسهم باستراحة قصيرة. يساعد الكحول في مثل هذه الحالات فهو يزيل المخاوف والقلق، يخدر الجسم والروح بنوع من اللامبالاة. ويمكن أيضاً أن يتم حفر ونقل الجسم على حدة، على الرغم من أنه كان أكثر صعوبة قليلاً. لم يتمكنوا من الاعتماد على مساعدة الفتى؛ لأنه إذا لمس الجثة فمن المحتمل أن يغمى عليه.

لا يمكنهم المخاطرة أكثر من اللازم لذلك استأنفوا عملهم المتقطع. أزالوا بقية الألواح من التابوت، ونظروا إلى جسد رجل بالغ ناضج، وقوي، وتبادلوا نظرات ذات معنى.

كان جسداً جيداً، سيحصلون على حفنة من المال.

- لا يبدو عليه انه لقيط سمين! تأوه أدريان، ووضع الجثة على قطعة كبيرة من القماش المشمع، ربما سرقت من الميناء. كخبير في تأييد الجثث وضع ستيف السبحة على الجسد وعاد ليضع يديه خلف ظهره. كان الوقت متأخراً، المطر يسقط بانتظام، ولكن على الأقل كانت العاصفة قد مرت جانباً. ابتعد صوت الرعد والبرق.

كان هذا هو الشيء الإيجابي الوحيد في تلك الليلة الملعونة.

هل سنعود الآن؟ سأل بهدوء الرجل صاحب النظارات.

- نعود، وإذا قلت أي شيء لاي شخص، فسوف ينتهي بك الأمر في هذا القبر. تذمر العامل، وشرع يملأ القبر بسرعة وبلا مبالاة

حتى عاد لشكله الصحيح. جمل جثة الرجل السمين ذو الملابس الأنيقة، ألقاها على كتفه بمهارة كبيرة جعلته يرتعد.

سقطت جثة المرأة الحامل فوق جثتي الاثنين الآخرين. بصق السائق في يديه ورفع الجسم الملفوف في القماش المشمع، في انتظار أن يفعل الفتى الشيء نفسه. استغرق الأمر لحظات فقط من الرجل صاحب النظارات ليحمل الجثة المتبقية. بدا وجهه شاحباً مشمئزاً، ثم اخذ يزحف على طول الجدار.

الفصل 2

في الجزء الغربي من بوسطن، لم يكن الجو أقل قتامة، وإن كان السبب مختلفا. خططت الشرطة بالتعاون مع مكتب التحقيق للقيام بغارات على المهاجرين غير الشرعيين قبل عيد الميلاد. ولم يتبق إلا تحديد مكان التنفيذ. كل هذا جاء وفقا للتعديل الثامن عشر وقرار فولستيد Volstead. تقرر اعتقال كل المتاجرين غير الشرعيين بالكحول وتدمير كل ما يملكونه في مخازنهم من قبل اللجنة.

على الأقل هذا ما كان مقررا من الناحية النظرية.

عمليا، بدت الأمور مختلفة. في وقت متأخر من الليل لم يكن من السهل الرؤية بوضوح في غرب روكسبري Roxbury لكن عينا فاحصة كان ستدرك بسهولة سيارات الشرطة المتوقفة في الشارع ورجال الشرطة الذين يتجولون في الشارع. عم الظلام معظم نوافذ المنازل المؤجرة. الضوء الخافت هنا وهناك لبعض الشموع أو مصابيح البترول لا يبدو مشبوها. ليس هناك الكثير من الكائنات الليلية في هذا العالم؟ ما يهم ضباط الشرطة هو ذلك المنزل الموجود مباشرة في الشارع قبالة متجر ميلر. كان هذا المنزل حسب التقارير ووفقا للمعلومات التي حصل عليها المكتب مصنعا غير قانوني للكحول. كما يقولون، تحت المصباح يكون الظلام أحلك... انه في وسط المدينة وعلى مرأى من الجميع، لذلك لا أحد كان يشك فيه. حتى الآن.

- "أيها السادة، من فضلكم" صاح بهدوء رجل أشقر طويل القامة نحيل، حليق الشعر مع خصلات لامعة وممشطة بعناية. خلق جوانب راسه بشكل عصري، وكانت عيناه تميلان لزرقة رمادية عميقة قرمزية تتخللها عروق دموية. تكس الضباط والوكلاء بين رفوف البضائع في المتجر المزدهم، نظروا إلى الأشقر دون ان يهتم أحد بكلماته. لم يتوقف الضحيح. لا أحد أخذ هذا الشاب دون سن الثلاثين على محمل الجد.

واحد منهم رمى الرماد من سيجارته في تجاهل.

- "كما قال العميل بيرلمان... إهدأوا. سنتحرك بعد بضع دقائق. هذه ليست مسابقة لرعاة البقر، أنتم تعرفون الخطأ، أنتم تعرفون الأوامر، تحققوا من أسلحتكم مرة أخيرة وخذوا اماكنكم." صاح رجل أكبر قليلا من بيرلمان، يرتدي معطفا قديما، وقبعة فيدورا فوق رأسه.

تحدث بلكنة جنوبية، تذكر بتكساس أو المناطق المحيطة بها. فحص بسرعة مسدس الخدمة، حرك الزناد الى الوراء. أوما رأسه وبدأ الجميع في فعل الشيء نفسه. عم الصمت، وسمعت فقط قعقة معدنية للبرميل.

حمل اثنان من الضباط بنادق رشاش طومسون جديدة، أحضرت مؤخرا، وكانوا متلهفين لتجربتها في العمل. كان البقية مسلحين بثمانية وثلاثين مسدسا رخيصا، ولكنها فعالة للغاية وبندق صيد من عيار اثني عشر.

بدأ بيرلمان مرتبكا قليلا. فحص مسدسه وأخذ نفسا عميقا، وشرع يتفحص الشارع المظلم والمطير من خلال نوافذ المحل. رفع طوق معطفه وقبعته وخرج على رأس ما يقرب من عشرة رجال مسلحين.

اتخذ الضباط الذين يطوقون الشارع موقعهم. اقترب البعض من السيارات المتوقفة، بينما توقف الآخرون إلى جانب الدرج المؤدية إلى المباني المجاورة، وانحنى بعضهم على جدار الباب الأمامي للمبنى الذي يضم معمل التقطير السري.

دفع بيرلمان الباب، وصعد أولا الدرج المظلم والرت. هرع رجالان خلفه، أحدهما بمدفع رشاش، والآخر بمسدس؛ كلاهما كانا مستعدين لإطلاق النار. قرعوا أبواب أقرب الشقق، وصرخوا بصوت عال مطالبين بفتح الأبواب.

توجه رجال الشرطة الآخرين تحت قيادة عميل ثان هو إيليا شو الذي أرسل من تكساس إلى الطوابق الأخرى. في حين أن أكبر وأقوى فرقة، بقيادة بيرلمان توجهت إلى الطابق السفلي.

نزلوا الدرج حتى وصلوا إلى ممر طويل توجد عديد من الأبواب على جانبيه. هذا الممر كان شائعا في جميع الشقق في هذا الجانب من الشارع. على أية حال، لم تكن نهاية الممر واضحة.

توقف الشرطي الأول عند أقرب باب. وفتحته الثاني بسرعة.

بدأ الجحيم.

ليس من الواضح جدا من أطلق النار على الأول. كانت قعقة البندقية التي أطلقت في الممرات الضيقة تصم الأذان بشكل مؤلم، وميض النار من البرميل أعمى الجميع للحظة قصيرة. رائحة البارود جعلت الوضع أسوأ، ومع ذلك، كانت هذه هي البداية فقط. لم يستغرق الأمر وقتا طويلا حتى بدأت الأذان تعناد على ضربات المسدس الأولى، ثم الثانية، وأخرى، وهكذا.

أعقب ذلك تبادل فوضوي وعنيف لإطلاق النار. لكنه لم يدم طويلا.

صرخ شخص ما. انفجر مصباح كهربائي عندما أصابته رصاصة طائشة، مما أدى إلى إغراق جزء من ممر القيو في ظلام دامس. في نفس الوقت تقريبا، دوت نيران بضعة مدافع من المسدسات والبنادق. سقط شخص ما مع وهو يصرخ على الأرض، سقط شخص ثان على الدرج. تساقط الجص من الجدران والسقوف، وكان الهواء مليئا بالغبار الخانق.

- "لا تطلق النار! - صرخ بيرلمان" وهو يلوح بندقيته. "كفى أيها اللعين! -بدأ يفقد أعصابه، ليس هذا ما كان يتوقعه. كان من المفترض أن يكون كل هذا إجراءات روتينية، مثل العشرات الآخرين منذ تفعيل قانون فولستيد. حتى أنه شرع يلعن على غير عادته. كان خجل من ذلك وصار وجهه أحمرًا.

بدأ العديد من الضباط في السعال بحركون أيديهم، في محاولة للتخلص من الدخان الزائد والغبار. كانت رائحة الاحتراق لا تزال في الهواء، واختلطت الآن برائحة الدم الذي اخترقته الرصاصات المعدنية. من بعيد، يمكنك سماع هدير البنادق التي أقيت على الأرضية الخرسانية الرخيصة. بدأت الشرطة في الركض في كل مكان، والتحقق من جميع الأماكن والزوايا من الأقبية.

- "لم يكن من المفترض أن يحدث كل هذا!" صرخ الضابط محاولاً التخلص من الغشاوة على عينيه ومن الدخان الذي دخل حلقه. لم تبد خسائر رجال الشرطة خطيرة للوهلة الأولى. لا يبدو أن أحداً قد قتل.

- "يبدو أنه كذلك، أيها الضابط".

- "كيف؟"

- "جوني جاء أولاً، وأنت تعرف كيف هو مثير."

- "هيا! جوني اشرح ما قمت به!"

- "رأى أن هناك شخصاً ما يوجد ثقب بين عينيه ولم يتردد لثانية واحدة!" شرع الضابط يشرح الوضع. لا أحد يحترم بيرلمان، ظنوا جميعاً أنه متشرد نادراً ما غادر مكتبه. كان هذا صحيحاً نوعاً ما، فهو يفضل الجلوس خلف مكتبه. حتى في مثل هذه الحالة الخطيرة من تبادل إطلاق النار، لم يعامله أحد تقريباً كعميل لمكتب التحقيق.

قال جوني وهو يضحك ويحرك ذقنه: "لقد فاجأني". وكان الرجل الذي أبلغ عنه الشرطي لنو شارب كثيف وشعر رمادي بشيب أبيض. كان رجلاً نحيفاً، شاحباً مثل الموت نفسه، يرتدي بنطلوناً بنياً وقميصاً أبيض ويضع حزاماً. على جبهته، في الحاجب الأيمن، كان هناك ثقب صغير به دم. كان يحمل بندقية صيد قوية. إيفر جونسون، اثنا عشر عاماً، كما توقع بيرلمان بسرعة.

- "ليس لي أن أشرح ذلك و." كان يوجين على وشك أن يقول شيئاً، لينتهي كل هذا الشرح ويقوم بواجبه، عندما بدا يعلو صوت متحمس لأحد رجال الشرطة.

- "أيها الضابط، من هنا!" صرخ شرطي من الطابق الأسفل، وسحب بأكمام قميصه رجلاً نحيفاً مريضاً. لديهم معدات جيدة جداً في قبو الفحم، وكان هذا الشيء الملعون مخبأ وراء علبه بها قوارير. يشهد الله أنه محظوظ، لأنه إذا كنا قد بدأنا إطلاق النار هناك... " صفر فخوراً بنفسه ودفع النحيل تحت أرجل الوكيل. كان لا يزال طفلاً. ربما لم يكن قد أكمل الستة عشر عاماً وكان حتى الآن الأصغر في المجموعة.

كان الآخرون تقريباً في نفس سن بيرلمان.

بعد لحظات، امتلأ الممر بالناس وتزايد عدد المعتقلين والجرحى. لم يفقد أي من شرطة بوسطن ومسؤولي المكتب الفيدرالي، أصيب ضابطان فقط بجروح طفيفة، بالإضافة إلى شخص كان حزينا للغاية لأنه لم تتح له الفرصة لإطلاق النار بمسدسه الرشاش. أما بالنسبة للمجرمين، كان الأمر أسوأ بكثير: ثلاثة قتلى، واحد مصاب بجروح خطيرة واثنين مذعوران لكنهما سليمين. كان الشاب الهزيل واحداً منهم.

حمل بيرلمان مسدسه الجاهز لإطلاق النار ودخل القبو لتقييم الجهاز بعينه الخبيثة. احتلت جزء كبيراً من الغرفة وامتد إلى السقف، ولكنه لم يكن عملاً فنياً. لا يستغرق الأمر أكثر من بضع لحظات لتفكيكه، وكذلك لتفريغ الكحول ثم التخلص منه.

- "يوجين!" ناداه العميل شو من بعيد.

- "أنا هنا، يا سيد شو."

- "أخلينا الطابق العلوي وقبضنا على ستة من الرجال المساكين. هل لديك ضحايا؟"

- "عدد قليل من الجرحى".

رفع الأشقر كتفيه، وأعاد مسدسه إلى حافظته. عدد قليل من القتلى، كانوا يفضلون الموت على الاستسلام للسلطات. بدأ جون أوسيدي إطلاق النار أولاً. ذهب ألبرت سميث للتحقق من المبنى مرة أخرى.

- "جوني، ماذا؟ الشجاع لا يطبق الجلوس دون عمل"، ضحك تكساس وهو يومئ برأسه. لكن باقي أفراد الشرطة لم يضحكهم الأمر. كانت هناك قاعدة غير مكتوبة بين ضباط الشرطة تقضي بأنه لا ينبغي للمرء أن يتناول على زملائه. ولأن أحد المحتالين ألقى باللوم على إطلاق النار على أحدهم فإن هذا الأمر لا يبشر بخير.

- "هل سيكون هناك أي عواقب؟" سال الوكيل.

- "نعم، بالطبع". اجاب شو.

- "هيا، أيها السادة! حان وقت الذهاب إلى المحطة ومقابلة هؤلاء البلهاء. جوني، بول، يمكنك البقاء هنا ومشاهدة هذه الفوضى حتى يظهر فريق النقل وإعداد هؤلاء الرعاة للمحكمة".

لم يدم الاندفاع طويلاً. رغم الشكاوى والشائعات، والقيء بسبب الدم والجثث، تركت الغالبية العظمى من رجال الشرطة المسكن في مزاج جيد. توكل البعض على أصدقائهم وهم يشتمون المجرمين الذين أطلقوا النار عليهم؛ بكى آخرون، يعرفون جيداً ما قد يعانون من كسر الحظر.

وقف عدد قليل من السكان الذين كانوا نياما في الدرج و في الشارع أيضا ، على الرغم من أن الضباط المتبقين قاموا بتوجيه العمليات بشكل جيد للناس بإخلاء المكان ما ان صعد الجميع في سياراتهم حتى كسر صمت الليل بسبب قعقة محركات فورد. تفرق الأسطول في اتجاهين: هرع الضباط الجرحى إلى المستشفى، والباقي إلى مقر شرطة بوسطن. كانت الغارة ناجحة، لكنها كانت البداية فقط. الآن فقط يمكن لبييرلمان الاحتفال بالانتصار. هناك الكثير من الأوراق تنتظر، يجب توثيق كل شيء ، و كتابة مجموعة من التقارير ،إعداد البروتوكولات المناسبة... لحسن الحظ ، لم يكن على أي من رجال الشرطة والضباط الذين كانوا يقاتلون على الخط الأمامي القلق بشأن هذا.

تطوع الوكيل يوجين بيرلمان للقيام بكل هذا، مما اثار موجة من الضحك بين زملائه و شفقة المعتقلين عليه ، لكنه لم يهتم. كان ببساطة يحب وظيفته. لهذا السبب، بمجرد وصوله إلى المقر ، ذهب أولا إلى المكتب الرئيسي ، دون ان يخلع قبعته ومعطفه. حدد موقع المصنع غير قانوني على خريطة كبيرة معلقة على الحائط. كان هناك العديد من الأماكن المماثلة في جميع أنحاء بوسطن. الكثير جدا. لكن عددا لقضاة ورجال الشرطة والوكلاء ، وحتى ممثلهم في لبيكرتون غير كاف . جلس بيرلمان على مكتبه.

بعد الكوب الثاني من القهوة، شرع في تدليك معصميه قبل العمل على الآلة الكاتبة . اقترب منه أحد الضباط الصغار وطلب المساعدة في الاستجواب. كان احد الموقوفين ممن ألقى القبض عليهم خلال الغارة يرفض بعناد التعاون . ولم يرغب أحد في اللجوء إلى التقليد العنيف المعروف والفعال. كان الجميع خائفا ، وحتى بيرلمان نفسه ، لأنه كان بلا شك سيقدم تقريرا عن مثل هذه الحالة إلى رؤسائه. لذلك شرب القهوة، ورتب ربطة عنقه ، وزر سترته وغادر مكتبه إلى غرفة ضيقة. كان هناك في انتظاره واحد من المعتقلين المذعورين ، الذي اعتقل خلال الغارة على المبنى. جلس على كرسي و شبك ذراعيه وساقيه مرتبطة ، امال راسه إلى الأمام وهو يتمتم شيء لنفسه. كان نحيفا مثل كل الآخرين في القبو. عبس بيرلمان، متسائلا عن سبب هذا الوضع .

- "العمل يوجين بيرلمان، من مكتب التحقيقات "قدم نفسه ثم جلس على كرسي. قام بفك سترته، وضم إلى يديه ووضعها فوق الطاولة البالية. لم ينظر إلى الورقة المكتوبة بخط اليد حيث كتب الشرطي الشاب بضع كلمات فقط لم تقل الكثير. تجاهله الرجل النحيف و لم يجبه. تنهد بيرلمان . لم يكن متخصصا في التحقيق مع الموقوفين و ادرك انهم دعوه فقط لإغاضته. وقف الشرطي سميث عند الباب ، مبتسما بازدياد.

- "وهذا هو الحال طوال الوقت " تتمم سميت. " إنه يجلس مثل العجل محذقا. افعل شيئا".
- "شيء ما مثل ماذا؟ هل علي أن أضربه على فمه لكي يعترف ؟ " استدار الضابط في كرسيه ، ينظر إلى الشرطي الآخر بعيون محدقة. على ما يبدو كان راضيا عن هذا الوضع.
- "يمكنك المحاولة".

- "لا أعتقد أن العنف هو الحل لجميع الحالات".
- "هل أنت من دعاة السلم؟" لم يفاجأ السؤال. لم يكن هذا شيئا غير مسبوق أو صادما، بعد جحيم الحرب ، كان الكثير من الناس يبتعدون عن التقاليد المرتبطة بالنزعة العسكرية. ولكن... لماذا أصبح بيرلمان شرطيا؟ عميلا؟
- "أنت تمل، هل تعلم ذلك ؟" تجنب يوجين تجنب بمهارة الإجابة عن السؤال، وتحول إلى الرجل المعتقل : "يمكنك شرب الفودكا حتى تمل ، لا يهمني ، إلى جانب ذلك ، لا يحظر استهلاك الكحول... ما هو مختلف هو الإنتاج والحركة. لهذا يمكنك الحصول على عقوبة جيدة ، وإذا أضفت إليه مقاومة للاعتقال وتعريض حياة وصحة الضباط للخطر... " لم ينته ، وترك الباقي لخيال الموقوف . ألقى كل شيء على الطاولة ، إذا لم ينجح هذا التهديد غير المعلن ، فلن يتمكن من أخذ أي شيء منه.